Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(د)- الإيقاع الروائـــي:

وهذا التناظر والتشابه مابين الواقع البانس هنا، وهناك، شكّلا نوعاً من أنواع الإيقاع الروائي. وهو إيقاع اتّسقت معه إشارات ثقافية، وتناغمت أجمل التناغم مع رؤية الكاتب، وأحداث الرواية. ومن تلك: الإشارة إلى ((مسرحية عرس الدم)) للوركا (ص٨٣) وإلى قصيدة (أمل دنقل): ((لاتصالح ولو ملكوك الذهب)) ورواية ((ذئب البراري)) لهرمان هسّه (ص١١٨).

وتتوضح صورة الإيقاع في الرواية إذا أمعنا النظر أكثر في أحداث الرواية تماثلا وتخالفا، أو تقابلا وتنابذا، أو تكاملاً وتدابرا. فهذه التناظرات المنسجمة، أو المتنافرة، إضافة إلى كونها تخلق جمالية من نوع ما، تُشبه جماليات الألوان المتباينة والمتشاكلة في اللوحة التشكيلية، تكشف عن تفاصيل أكثر، وتهب لوناً من ألوان الحياة في هذا الأثر الفني، بوصفه عملاً من أعمال الحلم، ينقل الواقع إلى عالم الخيال والجمال معاً.

فقد عرفنا أن (سعيد النبهان)، هذا الجد الجبار العاتي، قد ظلم زوجته (أم بدر)، وطلّقها دون أيّ تسويغ عقلي مقبول. وقد صارت هذه الزوجة جدّة للراوية (راوية)، وكانت أقرب الناس إلى قلبها، لأنها ((ميزان العدالة)). وقد انتقل الظلم من الجد إلى الأب فيما بعد، فكما ظلم الجد زوجته وتخلّى عنها، ظلم الأب ابنته (راوية) وتخلّى عنها، وذلك عندما ضربها أخوها الضابط الذي كان يُلقّب في البيت بـ (الدبّ). ولم يثأر للابنة من أخيها، لأن تمرده استحال خنوعاً وسلبية قاتليْن... ولهذا راحت الجدّة ترى في الحفيدة صورة لها، تخالف صورة أبيها وجدّها، فخاطبتْها بقولها: "أنت لست وريثة أبيك بالدم" لأن الانهدام راح يتسع بينها وبين أبيها، أو بين أفكارها وأفكار أبيها الجديدة، وذلك كله لصالح الاقتراب أكثر فأكثر من أفكار (ماجد زهوان)، الذي كان، قبلها، يتوق إلى إزاحة طمي الأيام الموحلة، ويشيد واحة صغيرة للفرح المفقود، وإلى أن يغرس شجرة في صحراء هذا الزمن تنمو جذورها بنبْض الدم -(الرواية ٦٦).

ولكن المفارقة اللافتة تتمثّل في أن قمْع السلطة لـ (بدر النبهان) وقهرها له، قد أتمر خنوعا وارتداداً، في حين أثمر قمع أخي (راوية) لها وقهرها، وإطلاق الرصاص عليها، تمرداً وصمودا وانتفاضا...!

وثمة إيقاع آخر، تستدعيه الذاكرة، يقوم بين عمليْ (حيدر حيدر): ((شموس الغجر)) و ((وليمة لأعشاب البحر)). وقد مرّت بنا أقوال وأفعال تظهر المشاكلة